

من العبادات الفعلية: الصدقة

وعبادة ثالثة: وهي النفقة، والصدقة. وهذه تكون لمن أعطاه الله فضلا من المال وورقه؛ فإنه تعالى يُجِبُّ من عباده أن يعطوا مما أعطاهم الله، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن: { الصدقة تطفيئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار } وأن الصدقة تدل على صدق صاحبها؛ وأنها تقع موقعا، وتُضَاعَفُ عند الله أضعافا كثيرة، قال الله تعالى: { إِنَّ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ } . رغب -صلى الله عليه وسلم- أيضا في إخفاء الصدقة، وذكر الذين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، وقال: { رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ بِشِمَالِهِ مَا تَنْفِقُ يَمِينَهُ } . ويَسَمَّى اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الصَّدَقَةَ قَرَضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ } ؛ مع أن الله تعالى غني عن عباده؛ ولكن امتحنهم، لَمَّا أَعْطَاهُمْ مَا لَا أَمْرَهُمْ بِأَنْ يَنْفِقُوا مِنْهُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، فَيَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ، وَيَتَصَدَّقُوا -أَيْضًا- عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ، مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى وَغَيْرِهِمْ. وكذلك أيضا يتصدقون مما أعطاهم الله تعالى فيما يُجِبُّهُ اللهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَفِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَفِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَمَا أَشْبَهَهَا؛ وبذلك يكونون قد عبدوا الله تعالى بهذه العبادة التي فرضها أو فرض جنسها. معلوم أن المسلمين يعرفون وجوب الزكاة في أموالهم، أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم؛ ولكن مع ذلك رَغِبَ فِي إِكْثَارِهِمْ مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَةِ زِيَادَةً عَلَى الْفَرِيضَةِ، وَهِيَ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ الزَّائِدَةُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ، أَمَا الْفَرِيضَةُ فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْكِرَهَا أَوْ يَجْحَدَهَا أَوْ يَبْخُلَ بِهَا. لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالنَّفِيقَةِ رَغَبَ فِي النَّفِيقَةِ مِنْ فَاضِلِ الْمَالِ وَمَنْ أَفْضَلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَبْهَمُوا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ } أَي: تَصَدَّقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ أَمْوَالِكُمْ، وَلَا تَصَدَّقُوا بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ أَي لَا تَتَصَدَّقُوا -مثلا- بِالْحَلِيقِ مِنَ الثِّيَابِ الْبَالِي، أَوْ بِالْتَمْرِ الَّذِي قَدْ فَسَدَ؛ بَحَيْثُ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الدُّوَابُّ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ؛ بَلْ تَتَصَدَّقُوا بِالطَّيِّبَاتِ الَّتِي تَصْطَفُونَهَا لِأَنْفُسِكُمْ، وَتَأْخُذُونَهَا إِذَا أُعْطِيْتُمْوهَا. وَأَمَرَ اللهُ -أَيْضًا- بِالنَّفِيقَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْيَوْمَ الَّذِي يُخْرَمُ فِيهِ الْإِنْسَانُ مِنَ التَّصْرِيفِ فِي مَالِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ } فَهَذِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ، وَهِيَ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْتَسِبُ الْمَالَ بِبَدَنِهِ، وَكَذَلِكَ يَنْفِقُهُ بِنَفْسِهِ. فتنوصى بمثل هذه العبادة البدنية التي يحبها الله تعالى.